أصول الدين عند أهل السنة

اتفق جمهور أهل السنة على أن أصول الدين (أركان الإيمان) ستة وهي :

١. الإيمان بالله .
٢. الإيمان بالملائكة .
٣. الإيمان بالكتب المنزلة .
٤. الإيمان بالرسل .
٥. الإيمان باليوم الآخر .
٦. الإيمان بالقدر خيره وشره .

وقد اعتقد أهل السنة بهذه الأصول بناء على النصوص فقد قال تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ، وما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في صحيح مسلم عندما سئل عن الإيمان فقال : ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ)) .

وعند الرجوع إلى كتب الأشاعرة نجدهم يقسمونها على ثلاث مباحث : (الإلهيات ، والنبوة ، والسمعيات) ويدرسون هذه الأصول الستة ضمن هذه المباحث الثلاث .

مبحث الإلهيات

يبحث علماء الأشاعرة في هذا المبحث اعتقاد الإنسان بالإيمان بالله سحانه والأدلة العقلية على إثبات وجوده ووحدانيته ، واتصافه بكل صفات الكمال من عدل وحكمة وعلم ... وتنزيهه عن كل صفات النقص من ظلم وسفه ونقص .. لكن الأشاعرة ذكروا في هذا المبحث أفكارا ومعتقدات تتفق مع بعض الفرق الإسلامية وتختلف مع فرق أخرى نتطرق هنا إلى أبرز هذه المعتقدات :

قولهم في الآيات الموهمة بالتشبيه

كان السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم يرون تفويض معاني النصوص الموهمة بالتشبيه إلى الله سبحانه فأثر عنهم أنهم قالوا : (اقرأوها كما جاءت ولا تتعرضوا لها لا لتفسير ولا لتأويل) لأن تفسيرها يؤدي إلى التشبيه والله سبحانه منزه عن ذلك ، ولكنهم رفضوا تأويلها أيضا لأن التأويل أمر ظني يحتمل الخطأ ولا يمكن الأخذ به في مجال العقائد .

إلا أن الأشاعرة يعدون طريقة تعامل السلف مع هذه النصوص بالتفويض هي تأويل اجمالي للنصوص ، فإن السلف أثناء التفويض يصرفون معنى النص الموهم للتشبيه عن ظاهره إلى معنى لا يعلمه إلا الله سبحانه بدون تحديد معنى معين . وذهبوا إلى تأويل هذه النصوص تأويلا تفصيليا وذلك بوضع معان محددة لها يقتضيها المجاز ومنسجمة مع السياق الذي ورد فيه هذا النص وهم بذلك يتفقون مع المعتزلة والشيعة الإمامية بوجوب تأويل هذه النصوص .

قولهم في رؤية الله سبحانه في الآخرة

يرى الأشاعرة أن الرؤية واجبة نقلا ممكنة عقلا . وهو قول كل أهل السنة حيث قالوا : أنه سبحانه يرى في الآخرة من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام ، ومن غير إحاطة . واستدلوا على ذلك بالمنقول والمعقول .

أما أدلتهم من المنقول :

١. قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة / ٢٢-٢٣ . ناظرة : من النظر أي الرؤية . وذلك لأن النظر يفيد الرؤية إذا تعدى ب (إلى) .

٢. قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف / ١٦٧ .والاستدلال بها على الرؤية من وجوه :

أ- أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم ، وأعلم الناس بربه في وقته ، أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه ، إذ لا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أحكام الألوهية .

ب- قال تعالى : (لن تراني) ، ولم يقل إني لا أرى أو لا تجوز رؤيتي ، أو لست بمرئي . والفرق بين الجوابين ظاهر فإن من كان في فمه حجر فظنه رجل طعاما فقال أطعمنيه ، فالجواب الصحيح : أنه لا يؤكل أما إذا كان طعاما صح أن يقال : إنك لن تأكله . وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار – الدنيا – لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته .

٣. عنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه – أَنَّ أُنَاسًا في زَمَنِ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ النبي – صلى الله عليه وسلم – « نَعَمْ ، هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ » . قَالُوا لاَ . قَالَ « وَهَلْ تُضَارُّونَ

في رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ » . قَالُوا لاَ . قَالَ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – « مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا ...) .

٤. عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } قَالَ : (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ وَمَا هُوَ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُجِرْنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيُكْشَفُ لَهُمْ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا أَقَرَّ بِأَعْيُنِهِمْ).

واستدلوا من المعقول :

١. إن العلة لصحة رؤية الشيء هي الوجود ، فكل موجود يصح أن يرى ، وبما أن الله سبحانه موجود فيصح أن يرى .
٢. الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنها أوضح وأتم من العلم ، والعلم لا يحتاج إلى كون المعلوم في جهة من العالم به ؛ فإننا نعلمه تعالى الآن من غير كيفية وصورة فيمكن في الآخرة أن يرى بغير كيفية ولا صورة .
٣. لا يلزم من الرؤية الشروط المذكورة لأن رؤيتنا هي كيفية من كيفيات متعددة للرؤية . فالله قادر على أن يجعل فينا قابلية للرؤية بدون هذه الشروط . ولا سيما أن الرؤية المقصودة هنا هي في الدار الآخرة ؛ وأحوال النشأة الآخرة مختلفة في كثير من الأحوال عن نشأتنا في الحياة الدنيا . فلا تقاس الآخرة على الدنيا .
٤. لا يستغرب أن تكون الرؤية بدون حدقة العين ، فلا شك بأن الله سبحانه يرانا بدون حدقة عين ، ومن غير مقابلة بيننا وبينه ، فيمكن أن نراه هكذا .

قولهم في الصفات الزائدة عن الذات

يرى الأشاعرة ان الله سبحانه متصف بـ (العلم ، والإرادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والحياة ، والكلام) وهذه الصفات السبع يطلقون عليها صفات المعاني ، لأن كل صفة من هذه الصفات معنى زائد عن الذات ، فهذه الصفات هي صفات أزلية زائدة عن الذات الإلهية ، قائمة بها فهي ليست عين الذات ، ولا غير الذات ، فالله سبحانه عليم بصفة تسمى علما ، وقادر بصفة تسمى قدرة .... الخ .

واستدلوا على ذلك :

١. أن الله سبحانه اطلق على نفسه هذه الأسماء ، والمفهوم في اللغة من عليم : ذات له علم ومن قدير ذات له قدرة ، بل يستحيل عند أهل اللغة : عليم بلا علم كاستحالة عليم بلا معلوم ، فالعلم علة كونه عليما ، ولما كانت هذه العلل متلازمة استوى فيها الغائب والشاهد .

٢. لو كان العلم نفس الذات ، والقدرة نفس الذات ، كما قالوا لكان العلم نفس القدرة ، فكان المفهوم من العلم والقدرة أمرا واحدا وهذا أمر واضح البطلان .

قولهم في القضاء والقدر

يبحث الأشاعرة موضوع القضاء والقدر ضمن الصفات الإلهية تحديدا صفة الإرادة لاعتقادهم أن جميع أفعال البشر تقع تحت حكم الله وإرادته ، وأن ما يقع في الكون من الخير والشر كله من عند الله وواقع بإرادته سبحانه ، ولا احتمال عند أهل السنة الأشاعرة لتعارض إرادة الإنسان مع إرادة الله واستدلوا على ذلك :

- ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ .
- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ .
- ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ .

ولما كانت أفعال العباد واقعة بإرادة الخالق فهي مخلوقة منه لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ، فالله سبحانه هو الخالق لأفعال العباد وقد دلت على ذلك كثير من النصوص القرآنية منها :

- ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ .
- ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ ولما كانت أفعال العباد شيئا فهي مخلوقة منه سبحانه . وهذا المعتقد عند الأشاعرة قد يوقعهم في اشكالين :

الاشكال الأول : إن خلق الله سبحانه لأفعال العباد قد يدل على أن الإنسان مكرها مجبورا على أفعاله فكيف يحاسبه الله سبحانه ويقاضيه عليها ؟!

الإشكال الثاني : إن وقوع أفعال العباد بإرادته سبحانه يدل على أن الله سبحانه أراد من الكافر الكفر مع أنه أمره بالإيمان ، ومع أنه سبحانه لا يحب لعباده الكفر والفساد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ ، ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ ، فكيف يريد الله سبحانه أمرا ويشاؤه ويخلقه وهو لا يحبه ولا يرضاه ؟!

وقد أجاب الأشاعرة عن هذين الإشكالين بما يأتي :

فعن الإشكال الأول أجابوا : إنا لا نقول بالجبر فأفعال العباد اختيارية ، لأن العبد هو من يكسبها ، فهو مختار للفعل بكسبه له وليس بالضرورة أن يكون خالقا لأفعاله حتى يكون مختارا لها . فإذا تعلق اختيار العبد بالفعل ، وعزم عليه عزما مصمما ، خلق الله سبحانه الفعل والقدرة الحادثة على القيام بالفعل . وقد لا يتعلق اختيار العبد بالفعل ، ولا يعزم عليه عزما مصمما ، فلا يخلق الله الفعل مع أن أصل الاختيار موجود .

وأجابوا على الثاني : إن الإرادة لا تقتضي الرضا ، فممكن أن يريد الله سبحانه أمرا وهو لا يحبه ويرضاه . لأَن لَفْظَة شَاءَ وَأَرَادَ لَفْظَة مُشْتَركَة تقع على مَعْنيين أَحدهمَا الرضى وَالِاسْتِحْسَان فَهَذَا مَنْهِيّ عَن الله تَعَالَى انه أَرَادَهُ أَو شاءه فِي كل مَا نهى عَنهُ . وَالثَّانِي أَن يُقَال أَرَادَ وَشاء بِمَعْنى أَرَادَ كَونه وَشاء وجوده فَهَذَا هُوَ الَّذِي نخبر بِهِ عَن الله عز وَجل فِي كل مَوْجُود فِي الْعَالم من خير أَو شَرّ.

المبحث الثاني : النبوة

اقتضت حكمة الله سبحانه على أن يبعث في كل أمة رسولا ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ ، وكانت لديهم تعاليم سماوية تهدف إلى تنظيم علاقة أفراد تلك الأمة بالخالق عز وجل ، وتنظم حياة الأفراد وعلاقتهم ببعض .

ومن أجل وحدة دعوة الرسل هذه ، دعا الإسلام أتباعه إلى التصديق بجميع الرسل وعدم انكار نبوة أحد منهم : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ كما أمر أتباعه باعتقاد أن هؤلاء الرسل متصفين بأفضل الصفات البشرية من أمانة وصدق وفطانة ومنزهين عن الرذائل والنقائص من خيانة وكذب ﴿

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ .

لكن الأشاعرة يعتقدون بجواز وقوع الخطأ من الأنبياء سَّهْوا عَن غير قصد وَيَقَع مِنْهُم أَيْضا قصد الشَّيْء يُرِيدُونَ بِهِ وَجه الله تَعَالَى والتقرب مِنْهُ فيوافق خلاف مُرَاد الله تَعَالَى إِلَّا أَنه تَعَالَى لَا يقرهم على شَيْء من هذَيْن الْوَجْهَيْنِ أصلا بل ينبههم على ذَلِك .

المبحث الثالث : السمعيات

يبحث علماء الأشاعرة في هذا المبحث المسائل الاعتقادية التي لا يستقل العقل بإدراكها ، بل أن الإيمان بها راجع إلى الإيمان بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن الكريم على صدره الشريف .

ومن هذه الأمور الإيمان بالملائكة ، فهم أجسام نورانية لهم قوة خارقة لا تدانيها قوة البشر ، ولهم وظائف يؤدونها بصدق وإخلاص ، وهم معصومون من الخطأ عمدا وسهوا : ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .

ومن هذه الأمور أيضا الإيمان بعالم البرزخ وفيه سؤال منكر ونكير وعذاب ونعيم القبر ، فالقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

ويبحثون الإيمان باليوم الآخر ، أي بوجود حياة أخرى بعد أن يبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء .